جهود الشيخ ابن عثيمين في الفقه

إعداد

أ. د. سليمان بن عبدالله أبا الخيل

مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ورقة عمل مقدمة لـ :

ندوة جهود الشيخ محمد العثيمين العلمية



110 Blank

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل الله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، **أما بعد:**

فإن الله بعث رسله مبشرين ومنذرين، وكلفهم بالبلاغ وأوجب عليهم الدعوة إلى صراطه المستقيم، فقاموا بهذه المهمة على أكمل وجه وأتمه، فبلغوا الرسالة، ونصحوا الأمة، وجاهدوا في الله حق جهاده.

ثم خلفهم ورثتهم من العلماء الربانيين، الذين هم هداة الأمة، وقادتها، وسر قوتها، سخروا ما وهبهم الله من علم للدعوة إليه، وبث الخير في نفوس الناس وتعليمهم ما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم، فنفع الله بهم، وأظهر الله على أيديهم معالم الدين، يدعون من ضل إلى الهدى، ويبصرونهم من العمى، يحيون بكتاب الله الموتى، حتى تحقق على أيديهم للأمة ما تصبو إليه، ومن هؤلاء العلماء الربانيين الذين كان لهم الدور البارز في إرشاد الناس وتعليمهم ما ينفعهم وحثهم على الخير شيخنا العالم العامل الزاهد، بقية السلف الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين ~ ، فقد كانت حياته جهدًا متواصلاً، وعملاً دؤوبًا، وعمرًا شغله بعد التأسس بالعلم بالتربية والتعليم، والدعوة إلى الله والإسهام في كل أمر يهم العامة والخاصة، والتأليف وقضاء حوائج المسلمين، ومن عايشه رأى الأعاجيب، لقد كان ~ بحرًا لا ساحل له في شتى العلوم والفنون، ففي الفقه هو آية من آيات الله فاق

الكثيرين، يترسم المتأمل في فقهه دقة فهمه، وعمق استنباطه، وسلامة الأصول التي يبني عليها في جميع دقائق ومعالم هذا الفن، وإرثه الفقهي المدون بين أيدينا يدل على تألقه في هذا الفن، وفي التفسير يعد شيخنا ~ أنموذجاً يحتذى في الفهم والتدبر والتأمل، والاستنباط، والعناية بكتاب الله عز وجل، وإنك لتدهش حينما تستمع إليه وهو يتأمل آية من كتاب الله، ويوقفك على عجائبها المتنوعة، ثم تنهال من علمه الفوائد والأحكام كالدرر حتى يصل استنباطه إلى عدد لا يخطر على بال، وما من شك أن هذه المنهجية الفريدة في تفسير كتاب الله نتاج معايشة ومدارسة ومحبة لكتاب الله عز وجل، وفي العقيدة هو فحل من فحولها، وفارس من فرسان ميادينها، كانت له المؤلفات والشروحات التي استهدف بها طلابه وتلاميذه، إضافة إلى فتاواه التي انتهج بها منهج سلف الأمة، وكانت حارسًا صلبًا في وجوه المبتدعة والمارقين والمنحرفين الذين سعوا إلى تشويه صورة العقيدة الإسلامية بكتبهم ورسائلهم، وكذلك في شتى الفنون كالأصول والحديث والنحو وغيرها كان له قصب السبق فيها، فالحق أن شيخنا يمثل المنهج الموسوعي الذي كان عليه علماؤنا، وسلف الأمة، ضرب في كل باب بسهم، وأبدع في كل مجال، وقد شرفت بالتتلمذ على يديه، والنهل من علمه الغزير، والجلوس في حلقته متلقيًا مستفيدًا فترة من الزمن، كان لها أثرها البارز ليس على الطلب والتحصيل فحسب، وإنما في الرؤية والمنهج، والسمت والسلوك، وكان لتلك الجوانب المتعددة التي تعد بحق مدرسة متكاملة الأثر العميق في نفسي، وانعكست تلك الآثار وتكرست في التعامل مع القضايا المتنوعة، ومن هنا فإن الإخوة والزملاء في جامعة القصيم وفقوا وسددوا حينما جعلوا حياة شيخنا وجهوده العلمية موضوعًا لمؤتمر حظي بالموافقة السامية، وقد وجهت لي دعوة للمساهمة فيه، ولم يكن لي أن أعتذر وأنا أشعر بعظم حق شيخنا علينا، ورغم كثرة المشاغل، والمسؤوليات، وتشتت البال، إلا أنني حرصت على الإسهام ولو بجهد المقل من خلال هذه المشاركة التي وسمتها بـ: «**جهود**

الشيخ ابن عثيمين ~ في الفقه»، وأعتقد أنها بحاجة إلى وقت أطول، وجمع أشمل، وتعمق واستقراء حتى تبرز هذه المعالم التي تميز منهجية شيخنا ~ ، ولكن استدراكًا للوقت، وحرصًا على الإسهام جاءت هذه المشاركة التي انتظمت مقدمة، وتمهيدًا، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

* المقدمة، **وفيها أهمية الموضوع**، ومكانة شيخنا تغمده الله بواسع رحمته، وأسكنه فسيح جناته.

* التمهيد: **وقد اشتمل على ترجمة موجزة لشيخنا ~** .

- المبحث الأول: **في فقه الشيخ ~ وأسباب تميزه**، وفيه مطالب:

- المطلب الأول: **في منهجيته في التلقي وطلب العلم عمومًا، والفقه خصوصًا.**

- المطلب الثاني: **أسباب نبوغه في الفقه.**

- المطلب الثالث: **أبرز مشايخه في الفقه.**

- المطلب الرابع: **انتماؤه المذهبي ومدى التمسك به.**

- المطلب الخامس: **منهجه في الاستنباط الفقهي.**

* المبحث الثاني: **جهوده في نشر الفقه وتعليمه**، وفيه مطالب:

- المطلب الأول: **مؤلفاته الفقهية.**

- المطلب الثاني: **جهوده في تعليم الفقه**، وفيه مسألتان:

- المسألة الأولى: **منهجه في اختيار الكتب الفقهية وتدريسها، وأبرز ما درس.**

- المسألة الثانية: **أبرز تلاميذه.**

* المبحث الثالث: **منهج الشيخ في الفتوى وأثره**، وفيه مطلبان:



ـ المطلب الأول: **منهج الشيخ في الفتوى**، وفيه مسألتان:

ـ المسألة الأولى: **الفتاوى العامة.**

ـ المسألة الثانية: **الفتاوى الخاصة.**

ـ المطلب الثاني: **أثر منهج الشيخ على فتاواه، وكذا فتاواه على طلابه، وعلى عموم الناس.**

*** الخاتمة، وفيها أبرز النتائج.**

وهذه خطة آثرت السير عليها اتباعًا للمنهج العلمي المعتمد في البحث، وأسأل الله سبحانه أن يعينني على الوفاء بها، وأن يجعلها إسهامًا مؤثرًا في إبراز مكانة شيخنا ~ وجهوده في هذا المجال، وأثر هذه الجهود.

كما أسأله سبحانه أن يوفق القائمين على هذا المؤتمر العلمي، ويكلل الجهود بالنجاح والتوفيق.

إنه سميع مجيب، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

أ. د. سليمان بن عبدالله أبا الخيل

مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

التمهـــيد

وقد اشتمل على ترجمة موجزة لشيخنا

*** اسمه ونسبه وكنيته:**

هو صاحب الفضيلة العالم المحقق، الفقيه المفسّر، الورع الزاهد، العلامة صاحب التآليف النافعة المشهورة، والمآثر الحميدة، سماحة الشيخ: محمد بن صالح ابن محمد بن سليمان بن عبدالرحمن بن عثمان بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أحمد بن مقبل من آل مقبل من آل ريِّس الوهيبي التميمي، وجده الرابع عثمان أطلق عليه عثيمين فاشتهر به، وهو من فخذ وهبة من تميم نزح أجداده من الوشم إلى عنيزة.

*** مولـــــده:**

ولد في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك عام ١٣٤٧هـ في عنيزة ـ إحدى أكبر محافظات القصيم ـ في المملكة العربية السعودية.

*** صفته الخلقية:**

قصير القامة معتدل الجسد ـ إلا في مرضه الأخير فقد هزل جدًا، ذو لحية طويلة إلى صدره بيضاء ـ لم يكن يغيرها بالحناء، أبيض البشرة مشوبًا بسمرة، بشوش دائمًا طلق الوجه، له نفس شاب وقد بلغ أكثر من السبعين.

*** جهوده العلمية:**

ظهرت جهوده العظيمة ~ خلال أكثر من خمسين عامًا من العطاء والبذل في نشر العلم والتدريس، والوعظ والإرشاد، والتوجيه وإلقاء المحاضرات، والدعوة إلى الله.

ولقد اهتم بالتأليف وتحرير الفتاوى والأجوبة التي تميَّزت بالتأصيل العلمي الرصين، وصدرت له العشرات من الكتب والرسائل والمحاضرات والفتاوى والخطب واللقاءات والمقالات، كما صدر له آلاف الساعات الصوتية التي سجلت محاضراته وخطبه ولقاءاته وبرامجه الإذاعية ودروسه العلمية في تفسير القرآن الكريم والشروحات وغيرها.

إلى جانب تلك الجهود المثمرة في مجالات التدريس والتأليف والإمامة والخطابة والإفتاء والدعوة إلى الله، وكان لسماحته ~ أعمال كثيرة موفقة **منها ما يلي**:

- كان عضوًا في هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية من عام ١٤٠٧هـ إلى وفاته.
- وعضوًا في المجلس العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في العامين الدراسيين ١٣٩٨ـ ١٤٠٠هـ.
- وعضوًا في مجلس كلية الشريعة وأصول الدين بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في القصيم ورئيسًا لقسم العقيدة فيها.
- وفي آخر فترة تدريسه بالمعهد العلمي شارك في عضوية لجنة الخطط والمناهج للمعاهد العلمية، وألّف عددًا من الكتب المقررة في مناهج المعاهد العلمية.
- وعضوًا في لجنة التوعية في موسم الحج من عام ١٣٩٢هـ إلى وفاته ~ ، حيث كان يلقي دروسًا ومحاضرات في مكة والمشاعر، ويفتي في المسائل والأحكام الشرعية، ولما تميزت به مشاركته فقد عني به ولاة الأمر وميزوه عن غيره، حتى كان له مخيم خاص، يجهز تجهيزًا كافيًا، ويقوم من خلاله بالدروس والفتيا، ومقابلة الوفود كشأن سماحة المفتي، ورئيس مجلس القضاء الأعلى.
- ترأس جمعية تحفيظ القرآن الكريم الخيرية في عنيزة منذ تأسيسها عام ١٤٠٥هـ إلى وفاته.

ـ ألقى محاضرات لا تحصى داخل المملكة العربية السعودية استهدفت فئات متنوعة من الناس، كما ألقى محاضرات عبر الهاتف على تجمعات ومراكز إسلامية في جهات مختلفة من العالم.

ـ من كبار علماء المملكة الذين أسهموا بفاعلية في وسائل الإعلام، من خلال البرامج الإذاعية التي تبث من المملكة العربية السعودية، وأشهرها برنامج «نور على الدرب»، الذي كان ~ يحرص عليه، ويقطع جزءًا من وقته لذلك.

ـ نذر نفسه للإجابة على أسئلة السائلين مهاتفة ومكاتبة ومشافهة.

ـ رتَّب لقاءات علمية مجدولة، أسبوعية وشهرية وسنوية.

ـ شارك في العديد من المؤتمرات التي عقدت في المملكة العربية السعودية.

ـ ولأنه ~ يهتم بطلابه خصوصًا، وعموم الطلاب، ويرى أن التربية والأدب مقدمة على العلم فقد اعتنى بتوجيه الطلاب وإرشادهم إلى سلوك المنهج الجاد في طلب العلم وتحصيله، وعمل على استقطابهم والصبر على تعليمهم وتحمل أسئلتهم المتعددة، والاهتمام بأمورهم.

ـ لقاءات علمية خاصة لبعض الطلاب القريبين من الشيخ أو طلابه الكبار .

ـ وللشيخ ~ أعمال عديدة في ميادين الخير وأبواب البرّ ومجالات الإحسان إلى الناس، والسعي في حوائجهم وكتابة الوثائق والعقود بينهم، وإسداء النصيحة لهم بصدق وإخلاص.

ويُعَدُّ سماحة شيخنا ~ من الراسخين في العلم الذين وهبهم الله ـ بمنّه وكرمه ـ تأصيلاً ومَلَكة عظيمة في معرفة الدليل واتباعه واستنباط الأحكام والفوائد من الكتاب والسنّة، وسبر أغوار اللغة العربية معانيَ وإعرابًا وبلاغة.

ولما تحلَّى به من صفات العلماء الجليلة، وأخلاقهم الحميدة، والجمع بين العلم

والعمل أحبَّه الناس محبة عظيمة، وقدّره الجميع كل التقدير، ورزقه الله القبول لديهم، واطمأنوا لاختياراته الفقهية، وأقبلوا على دروسه وفتاواه وآثاره العلمية، ينهلون من معين علمه ويستفيدون من نصحه ومواعظه في حياته وبعد وفاته.

ولهذا الجهد العظيم مُنح شيخنا ~ جائزة الملك فيصل ~ العالمية لخدمة الإسلام عام ١٤١٤هـ، وجاء في الحيثيات التي أبدتها لجنة الاختيار لمنحه الجائزة ما يلي:

أولاً: تحلِّيه بأخلاق العلماء الفاضلة التي من أبرزها الورع، ورحابة الصدر، وقول الحق، والعمل لمصلحة المسلمين، والنصح لخاصتهم وعامتهم.

ثانيًا: انتفاع الكثيرين بعلمه؛ تدريسًا وإفتاءً وتأليفًا.

ثالثًا: إلقاؤه المحاضرات العامة النافعة في مختلف مناطق المملكة.

رابعًا: مشاركته المفيدة في مؤتمرات إسلامية كثيرة.

خامسًا: اتباعه أسلوبًا متميزًا في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وتقديمه مثلاً حيًّا لمنهج السلف الصالح؛ فكرًا وسلوكًا.

*** شيوخه:**

١ـ جده من جهة أمه عبدالرحمن بن سليمان الدامغ ~ درس عليه القران الكريم.

٢ـ فضيلة الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي ~ ويعتبر الشيخ السعدي شيخه الأول الذي نهل من معين علمه وتأثر بمنهجه وتأصيله واتباعه للدليل وطريقة تدريسه.

٣ـ سماحة الإمام العلامة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ~ ، قرأ عليه في المسجد من صحيح البخاري، ومن رسائل شيخ الإسلام بن تيمية، وانتفع منه في



علم الحديث، والنظر في آراء فقهاء المذاهب والمقارنة بينها.

٤ـ الشيخ محمد بن عبدالعزيز المطوع ~ .

٥ـ قرأ على الشيخ عبدالرحمن بن علي بن عودان ~ في علم الفرائض حال ولايته القضاء في عنيزة.

٦ـ قرأ على الشيخ عبد الرزاق عفيفي ~ في النحو والبلاغة أثناء وجوده في عنيزة.

٧ـ الإمام العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ~ .

٨ـ الشيخ عبدالعزيز بن ناصر بن رشيد ~ .

٩ـ الشيخ عبدالرحمن الأفريقي.

١٠ـ قرأ على سماحة الشيخ عبدالله بن عقيل العقيل في الفقه.

*** أزواجـــه:**

تزوج ~ ثلاث مرات، الأولى: ابنة عمه بنت سليمان بن محمد العثيمين التي توفيت أثناء الولادة، ثم تزوج بعد وفاتها من ابنة الشيخ عبدالرحمن بن الزامل العفيسان، وظلت معه خمس سنوات لم ينجب منها فطلقها، ثم تزوج من بنت محمد ابن إبراهيم التركي وهي أم أولاده، ولم يجمع بين زوجتين.

*** أبنـــاؤه:**

خلف الشيخ ~ خمسة من البنين، وثلاثًا من البنات، وبنوه هم: عبدالله، وعبدالرحمن، وإبراهيم، وعبدالعزيز، وعبدالرحيم.

*** وفاتـــه:**

أراد الله لسماحة شيخنا الرفعة والعلو في الحياة وبعد الممات، فقدر الله عليه قدره الذي لا راد له، وابتلاه بمرض، ولما علم به استسلم لقضاء الله وقدره، ولكن ولاة

الأمر ـ كما هو ديدنهم وعادتهم ـ أصروا عليه بالسفر للولايات المتحدة الأمريكية لعل هذا يكون سببًا في زوال المرض عنه، ولكن لما علم بانتشار المرض، وأنه لا فائدة ترجى عاد إلى المملكة العربية السعودية، وبقي صابرًا محتسبًا، حتى كانت الفاجعة برحيله ~ ـ وأبى الله البقاء إلا لنفسه، وقد توفاه الله تعالى في مدينة جدّة قبيل مغرب يوم الأربعاء الخامس عشر من شهر شوال عام ١٤٢١هـ، أسأل الله أن يجعل ما أصابه كفارة له، وأن يرفع به درجته، وقد صلى عليه جمع حاشد في المسجد الحرام بعد صلاة عصر يوم الخميس، ثم شيّعته تلك الآلاف من المصلّين والحشود العظيمة في مشاهد مؤثرة، ودفن في مكة المكرمة بجوار شيخه ورفيق دربه وسلفه الشيخ عبدالعزيز بن باز.

رحمهم الله رحمة الأبرار، وأسكنهم فسيح جناته، ومَنَّ عليهم بمغفرته ورضوانه، وألحقنا بهم في زمرة النبيين والصديقين والشهداء، وجزاهم عما قدّموا للإسلام والمسلمين خيرًا[1].

(١) انظر كتاب: ابن عثيمين الإمام الزاهد، للدكتور ناصر الزهراني، وذلك في أنحاء متفرقة منه، وانظر أيضًا: موقع الشيخ محمد بن عثيمين: الإلكتروني.



المبحث الأول

في فقه الشيخ ~ وأسباب تميزه

وفيه مطالب:

المطلب الأول

في منهجيته في التلقي وطلب العلم عموماً، والفقه خصوصاً

سلك شيخنا ~ في تعلمه للعلوم طرقًا عدة، فقد جمع بين طريقة التلقي في المساجد التي كانت سائدة آنذاك، فكان ~ يثني ركبه عند أهل العلم البارزين، في حلقات المساجد، لينهل من معين العلم الصافي، وكان في بداية ذلك أن ألحقه والده ~ ليتعلم القرآن الكريم عند جدّه من جهة أمه المعلِّم عبدالرحمن ابن سليمان الدامغ ~ ، ثمَّ تعلَّم الكتابة، وشيئًا من الحساب، والنصوص الأدبية في مدرسة الأستاذ عبدالعزيز بن صالح الدامغ، وذلك قبل أن يلتحق بمدرسة المعلِّم علي بن عبدالله الشحيتان ~ حيث حفظ القرآن الكريم عنده عن ظهر قلب ولمّا يتجاوز الرابعة عشرة من عمره بعد.

وبتوجيه من والده ~ أقبل على طلب العلم الشرعي، وكان فضيلة الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي ~ يدرِّس العلوم الشرعية والعربية في الجامع الكبير بعنيزة، وقد رتَّب اثنين من طلبته الكبار، هما الشيخان محمد بن عبدالعزيز المطوع، وعلي بن حمد الصالحي ـ رحمهما الله تعالى ـ لتدريس المبتدئين من الطلبة، فانضم الشيخ إلى حلقة الشيخ محمد بن عبدالعزيز المطوع ~ حتى أدرك من العلم في التوحيد، والفقه، والنحو ما أدرك.

ثم جلس في حلقة شيخه العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي ~ ، فدرس

عليه في التفسير، والحديث، والسيرة النبوية، والتوحيد، والفقه، والأصول، والفرائض، والنحو، وحفظ مختصرات المتون في هذه العلوم.

ويُعدّ فضيلة الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي ~ هو شيخه الأول؛ إذ أخذ عنه العلم؛ معرفةً وطريقةً أكثر مما أخذ عن غيره، وتأثر بمنهجه وتأصيله، وطريقة تدريسه، واتِّباعه للدليل.

وعندما كان الشيخ عبدالرحمن بن علي بن عودان ~ قاضيًا في عنيزة قرأ عليه في علم الفرائض، كما قرأ على الشيخ عبدالرزاق عفيفي ~ في النحو والبلاغة أثناء وجوده مدرّسًا في تلك المدينة.

وأما بالنسبة للتعليم النظامي الذي كان في المدارس التي كانت تتبع الجهات الرسمية، فقد كان لشيخنا ~ نصيب بارز في ذلك، وذلك بتوجيهات شيخه عبدالرحمن السعدي ~ ، فلما فُتح المعهد العلمي في الرياض أشار عليه الشيخ علي بن حمد الصالحي ~ أن يلتحق به، فاستأذن شيخَه العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي ~ فأذن له، والتحق بالمعهد عامي ١٣٧٢ـ١٣٧٣هـ.

ولقد انتفع ـ خلال السنتين اللّتين انتظم فيهما في معهد الرياض العلمي ـ بالعلماء الذين كانوا يدرِّسون فيه حينذاك، ومنهم: العلامة المفسِّر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، والشيخ الفقيه عبدالعزيز بن ناصر بن رشيد، والشيخ المحدِّث عبدالرحمن الإفريقي ـ رحمهم الله تعالى ـ.

وفي أثناء ذلك اتصل بسماحة الشيخ العلامة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ~ ، فقرأ عليه في المسجد من صحيح البخاري ومن رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية، وانتفع به في علم الحديث والنظر في آراء فقهاء المذاهب والمقارنة بينها، ويُعدُّ سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ~ هو شيخه الثاني في التحصيل والتأُّثر به.

ثم عاد إلى عنيزة عام ١٣٧٤هـ وصار يَدرُسُ على شيخه العلامة عبدالرحمن ابن ناصر السعدي، ويتابع دراسته انتسابًا في كلية الشريعة، التي أصبحت جزءًا من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة، حتى نال الشهادة العالية.

فقد جمع شيخنا ~ بين العلم الشرعي في المساجد وعلى أكابر العلماء، وكذلك في المدارس النظامية التي كان لها أبرز النصيب في تكوين شخصيته العلمية، وإبراز رؤيته الفقهية، وحصل له بسبب ذلك الجمع بين شتى العلوم والفنون، من الفقه وأصوله، والتفسير والحديث وغيرها، فقد كان بحرًا في شتى تلك الفنون، وما ذاك إلا نتيجة طلبه العلم وتلقيه المؤصل، وإخلاصه لربه سبحانه، فكان له ذلك الأثر، حتى أصبح بعلمه وفضله نبراسًا ونورًا يشع بتوفيق الله في ظلم الليالي، فرحمه الله رحمة واسعة.

المطلب الثاني

أسباب نبوغه في الفقه

لا شك أن الشيخ ~ يعد من البارزين في علم الفقه، بل صار تميزه سمة بارزة، أوجبت أن يكون مرجعًا للعامة والخاصة، وإن المتأمل في أسباب نبوغ شيخنا ~ في جانب الفقه يجد أنها أسباب كثيرة، فهي معالم تميز في شخصيته الفقهية، صقلها ونماها بالإخلاص والورع والتقوى، والتلقي والملازمة، حتى تكونت لديه ملكة فقهية ظهرت فيه كميزة بز بها أقرانه، وأعلا الله بها شأنه، وكانت نبراسًا لمن بعده في الاقتداء والتأسي، **ويمكن إبراز أهم أسباب النبوغ ومعالم التميز في بعض النقاط**، فمنها:

١ـ حرص شيخنا على اتباع منهج السلف في الاعتماد على الدليل، وحرصه على موافقة السنة، وبعده الواضح عن الجمود والتعصب والتقليد، فقد أخذ شيخنا ~ في الفقه بمذهب الإمام الرباني: أحمد بن حنبل الشيباني ~ ، فمن يتأمل سيرة شيخنا يجد أنه كان يستظهر زاد المستقنع، ويعنى به عناية فائقة، وقد شرحه شرحًا وافيًا في كتابه الشرح الممتع على زاد المستقنع، الذي كان لنا شرف العمل عليه بإذن من شيخنا ~ بالاشتراك مع الزميل الأستاذ الدكتور/ خالد بن علي المشيقح وفقه الله، ومن المعلوم أن الإمام أحمد ~ كان شديد الاتباع للدليل، ويرجح ما يقتضي الدليل ترجيحه، حتى كان له في بعض المسائل روايات متعددة، وذلك بناء على اختلاف الدليل وترجيحه، وفهمه للدليل، وانعكس ذلك على شيخنا ~ ، وكان ذلك من أسباب نبوغه؛ لأن الارتباط بمذهب، والتأهل بأصوله، والطلب على قواعده، واستظهار متونه، ثم اعتماده للمقارنة من أنفع الطرق للتفقه والاجتهاد، وتحصيل الملكة الفقهية.

٢ـ الجد والحرص والعزيمة، والتضحية في طلب العلم، فمن الأمور التي



ميزت شباب الشيخ ~ وبداياته في طلب العلم أنه كان نهماً في طلب العلم، حريصًا على اغتنام كل فرصة تسنح له في الطلب.

٣ـ حَرِصَ شيخنا ~ على الاهتمام بالتقعيد والتأصيل، وكان ~ يركز دائماً على الأصول، ويحاول كثيرًا أن يربط الجزئيات والفروع بأصولها، وتعلمنا منه أن من أدرك العلم بأصوله جمع شتاته، ومن أخذ يتتبع الجزئيات مضى عليه عمره ولم يدرك شيئًا.

٤ـ مما يميز شيخنا ~ تأثره بشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله، واعتماده لأقوالهما دون تعصب لهما، ولا يخفى على ذي لبٍّ منزلة هذين العالمين، وما وضع الله لهما من القبول، وما حصل من أثر وانتفاع بعلومهما، ولهما رحمهما الله منهجية فريدة تعتمد الرؤية الوسطية والشمولية واستشراف المستقبل البعيد، وهذا ما انعكس على شيخنا وزاده تمكنًا.

٥ـ تأثر شيخنا ~ بمنهج شيخه الشيخ عبدالرحمن السعدي ~ ، حيث كان دائماً ما يذكر أقواله، ويثني عليه، بل بلغ من محبة شيخنا لشيخه أنه كان يقلده في حركاته، وخطه، وفي جانب المنهجية العلمية سار شيخنا على طريقته ومنهجه في الاستنباط والاستدلال، وكان للشيخ عبدالرحمن منهج مميز فريد في تقعيده وإيضاحه، ومن قرأ كتبه لاحظ ذلك، وأدرك دقة الفهم وسعة الاستدلال، وقوة الاستنباط، حتى قيل عنه: إنه مدرسة مستقلة، وسبق وقته ~ .

٦ـ من أسباب نبوغ الشيخ ~ : احترام أقوال العلماء واستدلالاتهم، واعتماد منهج الحوار والمناظرة، والأمانة في نقل الأقوال مع تميز بالدقة والعمق في الفهم، فعندما يسرد شيخنا ~ الأقوال في المسألة كان يبدأ بالأقوال المرجوحة في نظره، وكان يستدل لها حتى ليخيل إلى من سمعه أنه قول راجح، ثم يذكر القول الراجح في نظره بأدلته، ثم يعود ويناقش أدلة الأقوال المرجوحة سابقًا، وهذا يربي طلابه على البحث والمناظرة.

٧ـ من أسباب نبوغه ~ أنه كان يبني فقهه على الدليل، ويقرنه بالتعليل أحيانًا، ويبين الغاية والحكمة وأسرار الشريعة، معوِّدًا طلابه على الرؤية الواسعة والشاملة، المبنية على التأصيل وضبط المسائل، وهذه المنهجية المتميزة لها أثرها على بناء الشخصية العلمية، وسعة الأفق، ومرونة الاجتهاد، وكلها توافرت لشيخنا ~ .

٨ـ من أسباب نبوغ الشيخ ~ : عنايته بعلم المقاصد والقواعد الفقهية والأصولية، بل إنه في هذا الباب أعجوبة، ولذلك نجد أن تأصيله لبعض القضايا المعاصرة، أو استنباطه لحكمها يعتمد النظرة المقاصدية، التي تراعي جوانب الحكم بشمولية، وتعتبر مآلات الأحكام، ولذا أثر ذلك في بناء الأحكام لدى شيخنا ~ .

٩ـ أرى أن من أسباب التميز والنبوغ في شيخنا ~ عنايته بالتطبيق والعمل، وظهور أثر العلم عليه في عبادته وسلوكه، ولذلك يجد المتلقي والطالب أثر العلم عليه في حياته ~ وتعامله، وما من شك أن من أسباب بركة العلم وزيادته العمل به، مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ (البقرة: ٢٨٢)، وقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ (الأنفال: ٢٩)، وما أكثر ما سمعناه يحثنا على ذلك، ويؤكد عليه.

١٠ـ شيخنا ~ يتميز بالفقه المقرون بالإقناع والحجة، الذي يربي الناس على احترام النصوص، والوقوف عند النص أينما ظهر، وذلك يظهر جليًا عندما يفتي ~ ، وهذا مما يظهر لنا سرًا من أسرار القبول الذي وضعه الله لشيخنا ~ في قلوب الناس، حتى أصبح الفقيه المؤصل، والعالم المبجل، فرحمه الله رحمة واسعة.

١١ـ سلوك طريقة القرآن فيما يتعلق بفقه المواريث، وكان ~ يعد ذلك من أنجع الطرق التي تسهل للطالب ضبط المواريث وفهمها، وظهر ذلك جليًا في كتابه: «تسهيل الفرائض»، وهذا يدلنا دلالة واضحة على تمسك الشيخ بمنهج القرآن وطريقته، فكان موفقًا مسددًا في ذلك.



المطلب الثالث

أبـرز مشـايخه في الفقـه

من أبرز المشايخ الذين تأثر بهم شيخنا ~ في تلقيه للفقه، وفي غيره من العلوم والفنون، هو شيخه الشيخ: عبدالرحمن بن ناصر السعدي ~ كما سبق، فقد تأثر شيخنا ~ بمنهج شيخه، وطريقة استدلاله، واستنباطه حيث يعتبر شيخه الأول الذي تلقى عليه في عدة علوم وفنون، وقد لازمه شيخنا ~ مدة زادت على إحدى عشرة سنة(١)، واستفاد منه فائدة كبيرة، وتلقى منه وأخذ عنه، ثم خلفه شيخنا ~ بعد موته في إمامة الجامع الكبير في عنيزة، والتدريس فيه والإفتاء.

لقد كان لشيخه الأثر الكبير في التنشئة الفقهية لدى شيخنا ~ ، وظهر هذا التأثر مبكرًا، وانعكس ذلك عليه، ولذا نجد شيخنا ~ اعتمد طريقته في التلقي والاستنتاج والاستنباط والبحث الحر الذي يبنى على طلب النتائج دون اعتماد خلفيات سابقة، وهي منهجية فريدة، تجعل الباحث والعالم يصل إلى نتيجة سليمة، لأن آفة كثير من المتعلمين كما يقول شيخنا ~ يعتقد ثم يستدل، فيكون أسيرًا لفكرة أو لشخصية يوظف النصوص في خدمتها، لكن شيخنا أطلق العنان لعقله مستفيدًا من أقوال العلماء، مقارنًا ذلك بالواقع حتى يصل إلى النتائج التي يثمرها النظر، وهذه طريقة شيخه الشيخ السعدي ~ قبل ذلك، حتى انتقد عليه من قبل علماء عصره كثيرًا من المسائل التي يرون أنه فيها أتى بها يخالف المذهب كما انتقد على شيخ الإسلام قبل ذلك، فهذه المدرسة التي انتهجها الشيخ تمتد إلى شيخ الإسلام ~ ، وما من شك أن هذا كله أثر من آثار التأثر، ويقوي ذلك أن شيخنا ~ كثيرًا ما يذكر شيخه، ويعرف له حقه، ويبرز شيئًا من محبته له بعد موت شيخه، حتى إنه كان يقول كثيرًا في دروسه: «لقد تأثرت كثيرًا بشيخي عبدالرحمن

(١) انظر: ابن عثيمين الإمام الزاهد، ص ٣٠.



السعدي في طريقة التدريس، وعرض العلم، وتقريبه للطلبة بالأمثلة والمعاني»[1]، ومن شدة تأثر شيخنا ~ بشيخه عبدالرحمن ~ أنه كان يقلده في خطه حتى صار يكتب مثله، وكان شيخنا ~ حسن الخط[2]، وهذا يدلنا دلالة واضحة على قوة التلازم بينه وبين شيخه، وشدة التأثر به وبمنهجه رحمهما الله رحمة واسعة.

ومن المشايخ الذين درس عليهم شيخنا في مجال الفقه الشيخ محمد بن عبدالعزيز المطوع ~ ، وقد درس عليه شيخنا في الفقه كتاب: «منهاج السالكين» للشيخ السعدي، وكذلك الشيخ عبدالرحمن بن علي بن عودان، وقد قرأ عليه بعض كتب الفقه، كما درس عليه في علم المواريث وغيره[3].

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص٧٣.

(٢) انظر: معالم الفقه عند شيخنا الراحل، للشيخ د. إبراهيم قاسم الميمن، مقال نشر في جريدة المدينة، العدد: ١٣٧٩١.

(٣) انظر: ابن عثيمين الإمام الزاهد، ص ٣١.

المطلب الرابع

انتماؤه المذهبي ومدى التمسك به

كان شيخنا ~ يركز على المذهب الحنبلي في تدريسه وطرحه العلمي، فقد كان متبعًا في فقهه لمذهب إمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل ~ ، سار على أصوله التي كان يعتمد عليها، وكان يدرس متونه ويعرض أقواله ويناقش أدلته، ويصرح بذلك سواءً في تآليفه أو شروحه أو تعليمه ويقول: وهذا قول أصحابنا، أو هذا مذهب الأصحاب ونحو ذلك، وفي المنهجية يحثنا كثيرًا على أن يؤسس الإنسان نفسه على التزام أصول مذهب الإمام أحمد، ثم الانطلاق للمقارنة والخلاف، ومعلوم أن الإمام أحمد بن حنبل ~ يتبع الدليل حيث ظهر له، من كتاب أو سنة، وعلى هذا قد يكون له عدة روايات في مسألة واحدة، وذلك بناء على اختلاف الدليل أو صحته.

ولكن شيخنا ~ لم يكن أخذه بالتعصب الذي يجعله يأخذ بالمذهب دون تدقيق وتمحيص في الأقوال، بل كان يتحرى القول الصحيح بدليله وإن خالف المذهب، وكثيرًا ما كان يرجح في مسائل الخلاف وإن لم يوافق المذهب، ويسعى لجعل الدليل هو الحكم في المسألة، وكان يرجع عن القول إذا ظهر له دليل آخر، أو استنبط وجه دلالة غير ما كان يراه، ومع التزامه لمذهب الإمام أحمد ~ فقد كان يتبنى آراء الشيخين: شيخ الإسلام ابن تيمية ~ وتلميذه ابن القيم ~ ، وما ذاك إلا لقوة أخذهما بالأدلة، وسعة رؤيتهما المؤصلة للأدلة، والتزامهما بالدليل واستنباط الأحكام منه، وكان شيخنا ~ له عناية بكتبهما كما سبق[1]، فكان له تعليق على اختيارات شيخ الإسلام للبعلي، وكان صاحب مطالعات كثيرة لمجموع

(١) انظر: المنهج الفقهي للشيخ، محمد بن صالح العثيمين، مقال للأستاذ الدكتور/ خالد بن علي المشيقح، نشر في مجلة البيان، العدد: ١٦٠.



الفتاوى، وكثير من كتب شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم رحمهما الله، وكذلك الكتب التي تعنى بأقوال شيخ الإسلام واختياراته في الفقه، ويعلق على الكثير من الكتب لهما كالسياسة الشرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكتب إعلام الموقعين وزاد المعاد والطرق الحكمية وكلها لابن القيم، مع ذلك لم يكن متمسكًا بما قاله الإمامان دون تمحيص، بل كان منهجه ~ اتباع الدليل، وظهور وجه الدلالة فيه، وتمحيص الأدلة، واستنتاج الأقوال الصحيحة، وتمييز الأقوال الضعيفة، دون تقليد مذموم، أو تعصب محموم، بل كان مستنده الدليل.

وهذا الأفق الواسع يدل على صدق في الطلب، ونصح للأمة، وقوة اتباع للدليل، ولذا لا غرو أن كانت آراؤه العلمية وأطروحاته وفتاواه محل القبول من الجميع، ولا يخرجه ذلك عن أن يكون حنبليًا كما هو معلوم، ومن خلال تتبعي لدروسه وإرثه الفقهي خصوصًا والعلمي عمومًا، ومقارنة كل ذلك بما سار عليه سلفه، وتصنيف العلماء لمن كان بهذه المثابة أستطيع أن أقول إن شيخنا ~ بلغ مرحلة الاجتهاد المقيد، وهو الاجتهاد في المذهب التي يسير فيها العالم على مذهب، ويتفقه بأصوله وفروعه، ثم يختار من الأقوال ما هو أقرب للدليل(١)، وأدعى لموافقة المقاصد والقواعد، وهذا ما حصل لشيخنا ~ ، وهو ما وصف به من قبل عدد من العلماء، وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحم الله الجميع رحمة واسعة.

(١) انظر: روضة الناظر وجنة المناظر، لابن قدامة المقدسي، ص ٣٥٢، والبحر المحيط في أصول الفقه، لبدر الدين الزركشي ٤/ ٤٨٩.



المطلب الخامس

منهجه في الاستنباط الفقهي

كان لشيخنا ~ منهج واضح في طريقة استنباطه الفقهي، واستدلاله بالنصوص، واستخراج الأحكام الفقهية، وكان منهجًا يحرص على تربية تلاميذه عليه، وهو منهج شيخه من قبل الشيخ عبدالرحمن السعدي ~ ، بل كان ~ مدرسة مستقلة في التأصيل والتقعيد، والمنهج الاستنباطي والاستدلالي، **من خلال ملامح كثيرة، لعل أبرزها:**

١ـ **التجرد للدليل**، ونبذ التعصب المذهبي، ومناقشة الأدلة والأقوال، والحرص على المقارنة، واعتبار الترجيح بقوة الدليل، ولعل ذلك تربية تربى عليها من أسلوب شيخه، فكونت فيه عقلية فقهية نيرة، وعلمية متأصلة نابعة من الكتاب والسنة، ولا يعني ذلك خروجه عن المذهب كما سبق، لأن مما صرح به الأئمة أن الدليل هو المرجع والمحكم، وأن ما خالف النص فليس مذهبًا لهم.

٢ـ **تحرير المسائل تحريرًا دقيقًا**، والسعي إلى تحديد العلل تحديدًا متناهيًا، ومنضبطًا انضباطًا مطردًا في الأقيسة، واستقامة مسددة في التفريعات والجزئيات.

٣ـ **العناية بالقواعد والأصول**، والدقة في الفهم، والسير على رؤية علمية متجردة، واستحضار واعتماد المقاصد الشرعية المعتبرة، وكذا القواعد الأصولية في كل المسائل، ولا يخفى أثر علم الأصول والقواعد والمقاصد على تنمية الملكة الفقهية، ودقة التخريجات الفقهية، واطراد النتائج وسلامتها من التناقض، ولذا نجد الشيخ ~ كثيرًا ما يستعمل القواعد الفقهية الكلية، ويرد جزئيات المسائل إليها، ويورد القواعد الأصولية، وينبه على بعض المسائل الأصولية، مما يُدلِلُ على ارتباط أصول الفقه بالفقه ارتباطًا واسعًا، ولا يصل الفقيه إلى مرتبة الاجتهاد في

الفقه إلا عندما يدركها ويضبطها حق الإدراك والضبط، ويرتقي بها إلى مراتب عليا.

٤ـ كان ~ يحدد المصطلحات الفقهية تحديدًا جامعًا، وهذا بداية مشواره في استنباطه الفقهي، وهذه البداية تحدد المعالم، وتوضح طريق السير للسائرين.

٥ـ ومن المنهج الذي اتبعه الشيخ ~ أنه كان يعتني كثيرًا بالفروق الفقهية، وهو علم دقيق يعتمد على فن الأشباه والنظائر، لا يتقنه إلا من أحاط بالفقه إحاطة شاملة واسعة، وتمرس في مسائله واستدلالاته، ولا يكاد يخلو درس الشيخ الفقهي من التنبيه على بعض الفروق، والفرائد والفوائد.

٦ـ من الأشياء التي تستحق النظر والتأمل وهي جزء من المنهجية العلمية التي اتبعها شيخنا ~ حتى برز ونبغ في الفقه: العناية بالحفظ، وبناء الشخصية الفقهية من خلاله، وكان يردد أن الحفظ هو العلم، ومن حفظ المتون حاز الفنون، ثم له ميزة أخرى في اختيار ما يحفظ، فمن المعلوم أن متون الفقه الحنبلي كثيرة ومتنوعة، ومتفاوتة، ولكن المتن الذي اعتنى به شيخنا ~ عناية فائقة، وكان يستظهره حسب ما ذكر عن نفسه زاد المستقنع في اختصار المقنع للحجاوي، فالشيخ ~ يفضله على غيره، وقد شرحه أكثر من مرة، ويوصي من برز من طلابه وأراد أن يعقد حلقة للتدريس أن يكون بداية تدريسه لهذا الكتاب، وهذه الجزئية المنهجية ظهرت آثارها على الشيخ، حتى إنه ليسأل عن بعض المسائل ويستحضر فيها متن الزاد، وينطلق من هذا في استحضار خلاف العلماء، خصوصًا الأبواب التي يقل ورودها في واقع الناس.

٧ـ كان ~ كثيرًا ما يُفَصِّل ويضرب الأمثال، ويكثر من أسلوب السبر والتقسيم، إدراكًا منه ~ لأهمية هذا الأسلوب وأثره في بناء الشخصية

الفقهية، وتوسيع المدارك، وإيصال المعلومات إلى الطالب، وسهولة ضبطها والتركيز عليها.

وبالجملة فإن منهج الشيخ ~ تميز بهذه المعالم وغيرها، حتى منحه الله بسببها قبولاً وامتدادًا في العالم الإسلامي بل في العالم أجمع، حتى كان بحق مدرسة فقهية خرجت الكثير ممن ساروا على نهجه، واتبعوا طريقته، وهذا يبين بجلاء ما كان عليه من الشخصية الفقهية الثابتة المتزنة، والمنهج الرباني الذي سار فيه على خطى واضحة، حتى فاق من سبقوه.

المبحث الثاني

جهوده في نشر الفقه وتعليمه،

وفيه مطالب:

المطلب الأول

مؤلفـــاته الفقهـــية

من يتأمل في حال شيخنا ~ يلحظ إقلاله من التأليف والتصنيف الذي يتولاه بنفسه، وذلك نظرًا لقيامه بأعباء متنوعة من التعليم والفتيا، والدعوة إلى الله وغير ذلك، مما جعل مؤلفاته لا تمثل العلم الغزير الذي آتاه الله إياه، لكنه ~ من القلائل والنوادر الذين يعد تعليمهم وطرحهم في الدروس تأليفًا، فهو ~ بما يقوله ويحرره، ويجمع فيه ما يجعله سهلاً ممتنعًا، رصينًا في بنائه، قويًا في طرحه، محررًا في عبارته، يتحاشى فيه التكرار كأنه يؤلف، وهذا ما أدركناه وقد اعتنينا ببعض شروحاته وعلى رأسها الشرح الممتع والقول المفيد على كتاب التوحيد، ومن هذه الحيثية كثرت مؤلفاته التي فرغت في حياته وبعد وفاته، ويسر الله له أن يكون له بسبب ذلك من المصنفات النافعة ما طبقت شهرتها الآفاق، وصار ما يصدر عنه من مؤلفات محل عناية طلبة العلم في أنحاء العالم، ويتلهفون لكل ما يخرج عنه في كل فن من الفنون المتنوعة لما يجدون فيه من العلم المتين، والفقه العميق[(١)]، وهذا ما يبقى للإنسان بعد رحيله، وهو ذكره الحسن، وعلمه النافع، وشيخنا ~ ترك العديد من الآثار الفقهية التي أثرى بها المكتبة الفقهية، التي لا تزال محفوظة، وتعد قيمة كبيرة يستفيد منها الجميع في شتى المجالات، منها المطول ومنها المختصر، ومنها ما كتبه الشيخ ~ ومنها ما فرغ من تدريسه، وهي كالتالي مرتبة أبجديًا:

---

(١) انظر: ابن عثيمين: الإمام الزاهد، ص٣٤٦.



١ـ اثنان وخمسون سؤالاً عن أحكام الحيض في الصلاة والصيام والحج والاعتكاف.
٢ـ أحكام الأضحية والذكاة.
٣ـ أحكام الصيام وفتاوى الاعتكاف.
٤ـ أحكام قصر الصلاة للمسافر.
٥ـ أسئلة مِن بعض بائعي السيارات.
٦ـ أسئلة وأجوبة في صلاة العيدين.
٧ـ إعلام المسافرين ببعض آداب وأحكام السفر.
٨ـ أقسام المداينة.
٩ـ تسهيل الفرائض.
١٠ـ التعليق على القواعد والأصول للسعدي.
١١ـ الرِّبَا، صُوَرُهُ، أقسام الناس فيه.
١٢ـ رسائل فقهيّة.
١٣ـ رسائل وفتاوى في المسح على الخفّين والتيمّم.
١٤ـ رسالة في أحكام الميت وغسله.
١٥ـ رسالة في الدماء الطبيعية للنساء.
١٦ـ رسالة في الصلاة والطهارة لأهل الأعذار.
١٧ـ رسالة في المسح على الخفّين.
١٨ـ رسالة في الوضوء والغسْل والصلاة.
١٩ـ رسالة في أنّ الطلاق الثلاث واحدة ولو بكلمات.
٢٠ ـ رسالة في زكاة الحليّ.
٢١ـ رسالة في سجود السهو.

٢٢ـ رسالة في صفة الصلاة.

٢٣ـ رسالة في قصر الصلاة للمبتعثين.

٢٤ـ رسالة في كفر تارك الصلاة.

٢٥ـ رسالة في مواقيت الصلاة.

٢٦ـ سبعون سؤالاً عن أحكام الجنائز.

٢٧ـ ستون سؤالاً عن أحكام الحيض.

٢٨ـ شرح كتاب السياسة الشرعية.

٢٩ـ الشرح الممتع على زاد المستقنع، وهو أكبر مُؤَلَّفٍ للشيخ، بذل فيه الكثير من الجهد والوقت، وخرج كاملاً في أربعة عشر مجلدًا، استكملت بعد وفاته ~ ، أعاد النظر فيه في حياته، وراجع بنفسه عددًا منها، ولما فيه من علم غزير، وفقه دقيق صار مرجعًا هامًا يدرس في الجامعات والمساجد، ويسد ثغرة في المكتبة الفقهية.

٣٠ ـ صفة الحجّ والعمرة.

٣١ـ فتاوى أركان الإسلام ـ وهو آخر كتاب طُبِعَ للشيخ في حياتِه (مجلد في ٦١٦ـ صفحة) وتُوفيَ بعده بثلاثةِ أسابيعَ تقريبًا، ولم يَصْدُرْ له كتابٌ في حياتِه بعد هذا الكتاب.

٣٢ـ فتاوى التعزية.

٣٣ـ فتاوى الحجّ والعمرة والزيارة.

٣٤ـ الفتاوى الذهبيّة في الرُّقَى الشرعيّة.

٣٥ـ فتاوى الصيد.

٣٦ـ الفتاوى المكيّة.

٣٧ـ الفتاوى النسائية.



٣٨ـ فتاوى وتوجيهات في الإجازة والرحلات.

٣٩ـ فتاوى ورسائل في الأفراح.

٤٠ ـ فصول في حكم الصيام والتراويح والزكاة.

٤١ـ فقه العبادات.

٤٢ـ المجموع الثمين من فتاوى الشيخ محمد بن صالح العثيمين (جمع وترتيب الشيخ فهد بن ناصر السليمان).

٤٣ـ مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين (جمعها وأعدّها الشيخ: فهد بن ناصر السليمان).

٤٤ـ مجموعة أسئلة في بيع وشراء الذهب.

٤٥ـ مِن أحكام الأضحية.

٤٦ـ مناسك الحجّ والعمرة والمشروع في الزيارة.

٤٧ـ المنهج لمريد العمرة والحجّ.

٤٨ـ نبذة في الصيام.

وهذه من أبرز جهود اللجنة العلمية في مؤسسة الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين ~ الخيرية، ورصد من خلال الوسائل المختلفة، وأنا على علم أن للمؤسسة ولشقيق شيخنا الشيخ/ عبدالرحمن الصالح العثيمين ـ وفقه الله ـ جهوداً كبيرة في تتبع كل ما خلفه شيخنا، وإظهاره ليستفاد منه، وثمت مجموعة أخرى تحت الطبع، ولكني لم أقف على شيء فقهي، لأنني أذكر أن شيخنا كان له قراءات مع كبار طلاب العلم ومع القضاة وخاصة طلابه، وقد قرأ في الكافي ومنتهى الإرادات والإقناع وكشاف القناع، وفي الفروع والروض المربع، وفي غيرها من أمهات المذهب، وله تعليقات نفيسة فيها، ولعلها تخرج بإذن الله تعالى.

المطلب الثاني

جهـوده في تعليـم الفقـه، وفيه مسألتان

*** المسألة الأولى: منهجه في اختيار الكتب الفقهية وتدريسها، وأبرز ما درس.**

كان لشيخنا ~ الأثر البارز في تعليم الفقه وتدريسه، فقد توسَّم فيه شيخه عبدالرحمن السعدي ~ النّجابة وسرعة التحصيل العلمي، والبروز الفقهي والمعرفي، والحرص على الطلب والانشغال به، فشجّعه على التدريس وهو ما زال طالبًا في حلقته، فنفذ ~ توجيهات شيخه، وبدأ بالتدريس في عام ١٣٧٠هـ في الجامع الكبير بعنيزة بجانب حلقة شيخه ~ .

ثم لمّا تخرَّج من المعهد العلمي في الرياض عُيِّن مدرِّسًا في المعهد العلمي بعنيزة عام ١٣٧٤هـ، وفي سنة ١٣٧٦هـ توفي شيخه العلاّمة عبدالرحمن بن ناصر السعدي ~ فتولّى بعده إمامة الجامع الكبير في عنيزة، وإمامة العيدين فيها، والتدريس في مكتبة عنيزة الوطنية التابعة للجامع؛ وهي التي أسسها شيخه ~ عام ١٣٥٩هـ.

ولما كثر الطلبة، وصارت المكتبة لا تكفيهم؛ بدأ الشيخ ~ يدرِّس في المسجد الجامع نفسه، واجتمع إليه الطلاب، وتوافدوا من المملكة وغيرها حتى كانوا يتجاوزون الألف في بعض الدروس، وهؤلاء يدرسون دراسة تحصيل جاد، لا لمجرد الاستماع، وبقي على ذلك، إمامًا وخطيبًا ومدرسًا، حتى وفاته ~ ، وكان يدرِّس في المسجد الحرام والمسجد النبوي وفي بعض مساجد مدينة الرياض وفي مواسم الحج ورمضان والإجازات الصيفية منذ عام ١٤٠٢هـ، حتى وفاته ~ [1].

وكان تدريسه لعلوم شتى، ومن أبرزها: الفقه، فقد عني به عناية فائقة من خلال هذه الدروس العامة التي يشارك فيها من خلال حلقات المسجد، أما التعليم

(١) انظر في كل هذا: ترجمة الشيخ الموجودة في موقعه على الإنترنت.



النظامي فسبق أن الشيخ ~ لما تخرج من المعهد العلمي في الرياض عيّن مدرِّسًا في المعهد العلمي في عنيزة من عام ١٣٧٤هـ إلى عام ١٣٩٨هـ، حينها انتقل إلى التدريس في كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وشارك في الجامعة بفاعلية، ودرس علومًا مختلفة، ورأس قسم العقيدة، وشارك في عضوية المجلس ورقي في المراتب الأكاديمية إلى رتبة أستاذ بناء على وفرة كتبه ومؤلفاته ومشاركاته ~ ، وظل أستاذًا فيها حتى وفاته ~ .

وللشيخ ~ أسلوب تعليمي فريد في جودته، وجودة مخرجاته، وسبق الحديث عن منهجه في ذلك، ونجاحه، فهو يناقش طلابه ويتقبل أسئلتهم، ويُلقي الدروس والمحاضرات بهِمَّة عالية ونفسٍ مطمئنة واثقة، مبتهجًا بنشره للعلم وتقريبه إلى الناس، لكن المراد هنا ذكر طريقته في تدريس الفقه، وهي منهجية لا يخرج بها عن أسلوبه العام في تدريسه للعلوم عمومًا، **لكن أبرز ملامحها الخاصة:**

١ـ **حسن اختيار المتن الفقهي:** وقد ذكرت أن لشيخنا عناية بالزاد وشرحه الروض المربع، وخصص لتدريس الكتابين يومين من أيام دروسه هي السبت والإثنين من كل أسبوع، واستمر على ذلك زمنًا طويلاً، وخرج شرحه مدونًا محررًا في الكتاب الذي يعد بحق موسوعة، ألا وهو الشرح الممتع على زاد المستقنع.

٢ـ **التدرج في العلوم الفقهية:** ولذا فإنه يبدأ مع طلابه المتميزين، وطلبة العلم الكبار في أمهات المذهب، ككتب الفروع لتلميذ شيخ الإسلام ابن مفلح ~ ، وهو أنفس كتب المذهب وأنفعها، وكتاب كشاف القناع عن متن الإقناع، وغيرها.

٣ـ **العناية بأصول المذهب، والقواعد الفقهية والأصولية فيه:** وهي من المداخل التي يحتاجها خواص طلبة العلم، والفقهاء على وجه الخصوص، ولذا اعتنى شيخنا ~ بكتاب القواعد لابن رجب ~ ، وشرحه شرحًا وافيًا، وهو من الكتب المتخصصة في القواعد الفقهية، ويتميز بأسلوبه العلمي، وعنايته بالمذهب، وذكر

الروايات والتخريجات فيه، ومن الكتب الأصولية التي شرحها الشيخ في المذهب كتاب: مختصر التحرير لابن النجار الحنبلي، الذي طبع شرحه الكوكب المنير، وهو معروف، وله مكانة متميزة في أصول الفقه، وشرح الشيخ في الأصول: مختصرًا له أسماه الأصول من علم الأصول، وكتابًا ثالثًا هو: قواعد الأصول، ومعاقد الفصول.

٤ـ **تكرار المسألة الفقهية:** وهذا أسلوب من أساليب ترسيخ الفهم، وتثبيت المسألة، فنجد أن بعض المسائل التي ترد في شرح متن أو مؤلف فقهي تتكرر لدى الشيخ بصور مختلفة، فعندما يكون لها مناسبة في التفسير تورد، ولذا يعد من التفرد الذي تميز به الشيخ في التفسير الاستنباطات التي لا تقتصر على المسائل التفسيرية، بل تشمل الفقهية والأصولية واللغوية والبلاغية والمنهجية وغيرها، وإذا شرح الحديث في الصحاح أو المسانيد أو كتب أحاديث الأحكام فإنها تتكرر كذلك، وهذا ظاهر في شرح بلوغ المرام، وعمدة الأحكام، وشرح رياض الصالحين، وغيرها، وهو أسلوب له أثره في جوانب كثيرة، بل يعد ميزة لشيخنا ~ ، لأن مناهج العلماء في التعليم تتفاوت، وكان الأسلوب الغالب على كثير من علماء نجد على وجه الخصوص: القراءة والتعليق الموجز، وله أثره لدى كبار المتلقين، لكن مما يميز الشيخ: أن من يحضر دروسه ولو بصورة عارضة يستفيد.

٥ـ **التميز في منهجية التعليم:** استثارة الانتباه لدى الطلاب بأساليب متنوعة، وطرائق مختلفة، فأحيانًا بالمباغتة أثناء الشرح بجزئية يطلب فيها الرأي، وأحيانًا بطرح مسألة على كبار الطلبة لأخذ رأيهم، وأحيانًا باستكتاب أحدهم في بحث يقرأ بعد إعداده على بقية الطلاب، وهذه الصورة عند الشيخ في جميع دروسه، لكنها في الفقه أظهر منها في غيره، ومن حضر دروس الشيخ يجد هذا متكررًا عند الشيخ، ويذكره الطلاب الذين كلفوا والذين استمعوا واستفادوا، لا حرمه الله أجر هذه الجهود، وجعل طلابه امتدادًا لهذا الجهد المبارك.

*** المسألة الثانية: أبــرز تلاميــذه.**

تخرج من مدرسة شيخنا ~ الكثير من طلابه الذين استفادوا من علمه وفقهه وأدبه، وكان لهم أثرهم الكبير الواضح في نشر الخير وتعليم الناس، وبيان الحق وتجليته، وكان لهم مكانة في المجتمع ومنزلة، ويصعب في هذا المقام حصرهم، والحق أنني لا أود أن أخوض في مثل هذا، لأمور كثيرة أهمها:

١ـ **تفاوت طلبة الشيخ**، وامتداد الحقبة الزمنية التي توافدوا فيها عليه، لأنه ~ جلس للتدريس في حياة شيخه الشيخ عبدالرحمن السعدي ~ ، ثم خلفه في إمامة المسجد، وفي حلقة العلم التي كان يجلس فيها، وذلك من عام ١٣٧٠هـ، فهناك فئة كبيرة تلقوا العلم في فترة مبكرة، وهناك من جلس عند الشيخ ثم انقطعوا وسافروا إلى بلدانهم، وهناك من يأتي وقت الإجازات فقط، وهناك من استفاد فترة دراسته ثم لما انتهى وعين انقطع وهكذا، بل إن هناك من تتلمذ على أشرطته وكتبه في غير هذه البلاد، وثمة تجربة عاشها أحد الزملاء الذين تلقوا عليه، حينما أوفد من قبل الجامعة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وجد أن هناك أحد الإخوة المستوطنين في أمريكا يجمع من أشرطة الشيخ وعلومه ما لا يتصور، بل إنه كان يلاحظ على الموفد كونه ينقل آراء متأخرة للشيخ قد تغيرت وجهة نظره فيها، ومثل هذا في نظري يعد من أبرز طلاب الشيخ، لأن حقيقة التتلمذ الإفادة المثلى من علم الشيخ وهديه وسمته، ومنهجه ورؤيته، وإذا تحقق هذا ولو مع البعد فلم لا يعد مثل هذا من تلاميذ الشيخ؟ ولا يخفى شرط المحدث الإمام البخاري الذي تميز به أنه يشترط أن يكون الراوي الذي يمثل التلميذ عاصر من روى عنه ولاقاه، وغيره لا يشترط مثل ذلك.

٢ـ وكما حصل التفاوت في الطلب أيضًا هناك **تفاوت في الاستفادة والإفادة**، وكما هو حاصل مع كل عالم أن هناك من يجلس أمامه، ويمتد جلوسه فترة من

الزمن لكنه لا يستفيد شيئًا، بل ربما يخرج من الحلقة كما دخل، وهناك من تقل استفادته، فليس المعيار الذي يقاس به التتلمذ هو الحضور والملازمة فحسب، وأذكر أن شيخنا ~ إذا شعر بأن أحدًا من طلابه لا يستفيد أو يكون في ذهنه ما يخالف ما عليه الشيخ فإنه يتأثر لذلك، ويوصي بأن من يحضر فعليه أن يجلس جلسة المستفيد لا جلسة الند للند، ولا يعد ~ من أمامه طالبًا من طلابه إلا إذا حمل الكتاب، وحفظ وتابع، وتحمل السؤال الذي يلقيه، وهذه معالم نستفيد منها في كيفية الطلب ومنهجيته.

٣ـ **أن هذا الحصر يستلزم التواصل مع المعنيين بطلابه**، ويتطلب جهدًا مضاعفًا حتى لا يغفل أحد من البارزين من طلابه، أو يضاف من لم يعرف بذلك.

لهذا كله آثرت عدم الخوض في ذلك، والاكتفاء بهذه الإشارة، وأن التتلمذ عليه حصل من عدد كبير تجاوزوا في أواخر عمره المئات، ونفع الله بهم نفعًا عظيمًا، سواء في نشر العلم، أو تسلم مناصب ومسؤوليات في هذه الدولة، أو من الوافدين في بلدانهم، ونحتسب على الله أن يكون هؤلاء امتدادًا لعمله الصالح، ونشرًا لعلمه النافع، إنه سميع مجيب.



المبحث الثالث

منهج الشيخ في الفتوى،

وفيه مطالب:

المطلب الأول

منهج الشيخ في الفتوى،

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: **الفتاوى العامة**

تكتسب الفتوى أهمية بالغة لشرفها العظيم، ونفعها العميم، لكونها «المنصب الذي تولاه بنفسه رب الأرباب، حيث أفتى عباده، فقال في كتابه الكريم: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ ﴾ (النساء: ١٢٧)، وقال أيضاً: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ﴾ (النساء: ١٧٦)، فقد نسب الإفتاء إلى ذاته، وكفى هذا المنصب شرفًا وجلالة أن يتولاه الله تعالى بنفسه، قال ابن القيم ~ : «وأول من قام به من هذه الأمة سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين عبدالله ورسوله، وأمينه على وحيه، وسفيره بينه وبين عباده ﷺ، فكان يفتي عن الله بوحيه المبين، وكان كما قال له أحكم الحاكمين: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ (ص: ٨٦)، فكانت فتاواه ﷺ جوامع الأحكام ومشتملة على فصل الخطاب»[١].

ثم خلفه في منصب الإفتاء كوكبة من صحابته الكرام قامت به أحسن قيام، فكانوا سادة المفتين، وخير مبلغ لهذا الدين، قال قتادة في تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (سبأ: ٣)، قال: «أصحاب محمد ﷺ»[٢].

(٥) إعلام الموقعين عن رب العالمين ١/ ١١.

(٢) انظر: الدر المنثور، للسيوطي، ٦/ ٦٧٤.

ثم جاء من بعدهم التابعون وأتباعهم وكثير من الأئمة المجتهدين، والعلماء العاملين، فأفتوا في دين الله تعالى بما آتاهم من علم غزير وقلب مستنير، ورقابة لله العليم الخبير، فأسدوا إلى الأمة خدمات جليلة كان لها أثر في نشر العلم، وإصلاح العمل.

ومما يظهر منزلة الفتوى أيضا: أنها بيان لأحكام الله تعالى في أفعال المكلفين، لهذا شبه ابن القيم المفتي بالوزير الموقع عن الملك، فقال: «إذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لا ينكر فضله ولا يجهل قدره وهو من أعلى المراتب السنيات فكيف بمنصب التوقيع عن رب الأرض و السماوات»[(١)].

ولئن كانت حاجة الأمة إلى الفتوى كبيرة فيما مضى، فإن الحاجة في هذه الأيام أشد وأبقى، فقد تمخض الزمان عن وقائع لا عهد للسابقين بها، وعرضت للأمة نوازل لم يخطر ببال العلماء الماضين وقوعها، فكانت الحاجة إلى الإفتاء فيها شديدة، لبيان حكم الله تعالى في هذه النوازل العديدة، إذ لا يعقل أن تقف شرعة الله العليم الحكيم عاجزة عن تقديم الحلول الناجحة لمشكلاتهم، المتسعة لكل ما يحدث لهم أو يشكل عليهم، وهي الشريعة الصالحة المصلحة لكل زمان ومكان وأمة، الجديرة بالتطبيق في كل مكان.

ولا يخفى أن الإفتاء خصوصًا في النوازل يحتاج إضافة إلى العلم الغزير الواسع، والملكة الفقهية التي يتمكن بها من الاستنباط، وكافة الشروط والضوابط التي ذكرها العلماء في باب الاجتهاد، يحتاج أيضًا إلى بصيرة وعلم دقيق لظروف النوازل، وارتباطاتها، وجملة من المقدمات التي قد يستفاد فيها من أصحاب التخصصات الأخرى التي تعين على فهم وإدراك النازلة، حتى يكون الحكم فيها متفقًا مع الأدلة الشرعية، والمقاصد المرعية، والقواعد والمبادئ التي يسلم بها الحكم من الاضطراب

(١) إعلام الموقعين ١/ ١٠.

أو التناقض، أو غير ذلك من المؤثرات، وعلماؤنا الأجلاء السابق منهم واللاحق لهم شأن في هذا الجانب بل تميز يذكرون به، وهذا ما يميز شيخنا، رحمه الله تعالى، فقد منّ الله عليه بعلم غزير، وفهم ثاقب، وعلاقة وطيدة بولاة الأمر وأصحاب القرار في أجهزة الدولة، ولذا تميز منهجه في الفتوى برؤية شمولية، ومراعاة لجوانب القضية المختلفة، وحدة في الذكاء يتنبه من خلالها إلى مرامي السائل ومقاصده في سؤاله، فإذا كان السؤال مرتبطًا بقضية عامة، أو نازلة في المجتمع، أو تتضمن اتهامًا معينًا فإن شيخنا ~ يستفصل عن ظروف وملابسات السؤال، وربما امتنع عن الحكم حتى يسمع الطرف الآخر، وأحيانًا يطلب ما يثبت فيها شيئًا يتأكد به من وقوع النازلة، أو دقتها، ومن هنا فإن استقراء هذه الجوانب هام لكل أحد، وهو خصوصًا أهم لمن أنعم الله عليهم وسلك بهم سبيل العلماء، لأن جوانب التأسي مهم أن تفرد بالحديث، ومن خلال التلقي على سماحة شيخنا والجلوس في حلقته، وحضور مجالسه العامة والخاصة، **فقد رصدت جملة من السمات لفتاواه، أذكرها فيما يلي:**

١ـ قوة التأصيل والبناء، الذي يعتمد استقراء كلام العلماء، وفهمه فهمًا ثاقبًا، واستحضار أدوات الاستنباط والاستدلال، ثم الصدور من خلال ذلك عن رؤية تكون فتوى في المسألة التي تعرض عليه، أو يطلب منه بيان الحكم فيها.

٢ـ ومن قوة التأصيل اعتماد الدليل الذي هو الأصل والمورد، ولا يحيد عنه قيد أنملة، ويرجح عند اختلاف العلماء ما يسنده، وكثيرًا ما يعتمد أقوال شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم ـ رحمهم الله جميعًا ـ.

٣ـ التقوى والخوف من الله، والورع الذي ظهر أثره على فتاواه، لكنه ليس الورع الذي يؤدي به إلى التشدد والانغلاق، بل على العكس، لأن حقيقة الفقه إيجاد البدائل، وفهم الرخصة، والتيسير على عباد الله، وهذا من تقوى الله ومخافته

وذلك مستفيض مشتهر ظاهر في لسان حاله ومقاله، ولذا وفقه الله وسدده، وعلمه وألهمه مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ (البقرة: ٢٨٢).

٤ـ ويتفرع على السمة السابقة ما أشرت إليه من تغليب جانب اليسر والسماحة والنظر في النصوص نظر مدقق لاستنباط الحكم الذي لا يخالف النص، ويتم به التيسير ورفع الحرج، وما من شك أن هذه ميزة التشريع، بل قاعدته، فالله تعالى يقول: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ (البقرة: ٢٨٦)، وقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ (البقرة: ١٨٥)، وقال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج: ٧٨).

٥ـ وقريب من هذه السمة بل هو فرع رئيس لها: فقه البدائل الذي عني به شيخنا ~ بل أرشدنا إليه، ويؤكد على ذلك كثيرًا، فهو منهج القرآن فالله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا﴾ (البقرة: ١٠٤)، ومنهج نبينا محمد ﷺ في مواقف كثيرة ففي قصة الرجل الذي ابتاع تمرًا جيدًا بتمر رديء فقال له رسول الله ﷺ: «**أوه أوه عين الربا لا تفعل، ولكن بع التمر ببيع آخر ثم اشتر به**»[1]، وشيخنا ~ له عناية كبيرة بالبدائل الشرعية في أي مجال يفتي فيه ~ ، وهذا من مراعاة حال الناس، وتحقيق مقاصد الشريعة.

٦ـ المَلَكة الفقهية التامة التي ظهرت في فتاوى شيخنا ~ واستنباطاته، ويدل لهذه المَلَكة **ما يلي:**

أ ـ حسن التفريع وتشقيق المسألة، وإجابة المستفتي بحسب احتمالات الحالة التي يراد بيان الحكم فيها.

ب ـ توظيف الدليل النظري لخدمة الدليل الأثري، وأحيانًا يستقل الاستدلال النظري، لأنه لا يخرج عن كونه استنباطًا وفهمًا يؤتاه العالم، واعتمادًا على القواعد

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب إذا باع الوكيل شيئاً فاسداً فبيعه مردود، برقم: (٢١٨٨).



والأصول والمقاصد الشرعية.

جـ ـ القدرة الفائقة على التحليل، واعتبار النظائر والمتشابهات، وإدراك الفروق العميقة بين صور الأحكام ومآخذها ومآلاتها، مما يدل على قدرة عقلية فذة لشيخنا ~ .

د ـ مراعاة حال السائل، وإجابة كل مستفتٍ بحسب ما يظهر من قرائن الأحوال وملابسات الظروف، ولذا قد نجد حالتين تتشابهان في الصورة ولكن يختلف حكمهما بهذا الاعتبار.

هـ ـ وقريب من مراعاة حال السائل: مراعاة الأحوال والظروف والبيئات، وهذا جزء من شخصيته الفقهية التي لها أثرها على قوة الحكم وقبوله، وحسن أثره، وقد ذكر ابن القيم ~ في إعلام الموقعين أن من الأحكام ما يختلف بهذه الاعتبارات، وأن إدراكها مهم للفقيه، بل سمى ~ الفقه الذي يؤسس على رعاية هذه الأمور الفقه الحي، قال ~ [1]: «فصل في تغير الفتوى واختلافها بحسب تغيُّر الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد.

هذا فصل عظيم النفع جدًا، وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة، أوجب من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل إليه ما يعلم أن الشريعة الباهرة التي في أعلى رتب المصالح لا تأتي به؛ فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه وظله في أرضه وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله ﷺ أتم دلالة وأصدقها، وهي نوره الذي به أبصر

(١) في كتابه: إعلام الموقعين، ٣/ ٣.



المبصرون، وهداه الذي به اهتدى المهتدون، وشفاؤه التام الذي به دواء كل عليل، وطريقه المستقيم الذي من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل، فهي قرة العيون، وحياة القلوب، ولذة الأرواح، فهي بها الحياة والغذاء والدواء والنور والشفاء والعصمة، وكل خير في الوجود فإنما هو مستفاد منها، وحاصل بها، وكل نقص في الوجود فسببه من إضاعتها»، وصدق ~ .

٧ـ **من ميزات فتاوى شيخنا** ~ وهي جزء من شخصيته ~ سرعة البديهة، وجاهزية الجواب، وإدراك مرامي المستفتي، وتفرسه فيه، وهذا لا شك أنه معين على معرفة الجوانب المؤثرة في الحكم والأسس التي يبنى عليها.

٨ـ **ومن الميزات العامة**: الحرص على أن تكون الفتاوى معالجة واقعية لأحوال الناس ومشاكلهم وانحرافاتهم، وما يجد لهم من نوازل وأقضيات، ولهذا إذا أحس بأن السؤال افتراضي لم يقع فإنه يمتنع عن الجواب، ويرشد المستفتي إلى ما هو أهم وأنفع.

هذه جملة من الميزات التي يلمسها ويدركها ويحصلها المتأمل لفتاوى شيخنا ~ .

المسألة الثانية: **الفتـــاوى الخاصـــة**

الحديث عن الفتاوى الخاصة امتدادًا للمنهج في الفتاوى العامة، لكن ما من شك أن ثمة من القضايا ما يأخذ طابع الخصوصية، لاعتبارات مختلفة، إما باعتبار المستفتي، أو باعتبار متعلق الفتيا، أو باعتبار ظروف الحال، والشرع راعى الخصوصيات وأمر بالستر، فالنبي ﷺ اعتبر بعض الخصوصيات، ولذلك بوب البخاري ~ في صحيحه باب: «من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا»، وأورد حديث معاذ بن جبل > قال: قال له رسول الله ﷺ: «**يا معاذ**



ابن جبل»، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: «**يا معاذ**»، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثًا، قال: «**ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار**»، قال يا رسول الله: أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: «**إذاً يتكلوا**»، وأخبر بها معاذ عند موته تأثمًا[1].

*** وشيخنا ~ تتميز الفتاوى التي تأخذ طابع الخصوصية بميزات أهمها:**

١ـ رعاية الخصوصية، وتأكيد هذا للمستفتي، حتى لا تنشر هذه الفتوى على أنها عامة، فيكون في ذلك خلل في تنزيل الفتاوى، وهو خطأ لا يخفى.

٢ـ التجاوب مع المستفتي فيما يحقق هذه الخصوصية، فإذا ذكر له المستفتي أن له سؤلاً خاصًا صرف الناس من عنده، أو أخذ المستفتي إلى مكان خاص، أو ضرب له موعدًا آخر، وهذا من سماحته وحسن معشره، وقضائه لحاجات الناس، وتحقيق هذا الجانب الشرعي.

٣ـ اعتبار سد الذرائع، ومآلات الأفعال في الفتوى التي تحيط بها هذه الظروف، خوفًا من تعميمها أو استغلالها أو حصول ضرر للمستفتي ونحو ذلك، ولذا يحيطها الشيخ ~ بما يحقق الاحتياط التام فيها.

٤ـ هذا إضافة إلى ما تتميز به منهجية الشيخ في الفتوى عمومًا، والتي ذكرتها في المبحث السابق.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا، برقم: (١٢٨).



المطلب الثاني

أثر منهج الشيخ على فتاواه، وكذا فتاواه على طلابه، وعلى عموم الناس

رصد هذه السمات التي سبقت الإشارة إليها يثمر لنا ثمرات جليلة، وفوائد جمة، **أبرزها ما يأتي:**

١ـ معرفة جهود هؤلاء العلماء الأفذاذ، وحفظ مكانتهم، وسر القبول الذي وضعه الله لهم.

٢ـ بذل الحقوق الواجبة تجاه شيخنا ~ على طلابه خصوصًا، وعلى عامة الناس، وهذه الحقوق هي التي وردت في النصوص، وطبقها السلف مع علمائهم، فإذا رصدت هذه الأعمال الجليلة صار في ذلك تأكيد هذه الحقوق واستثارة الهمم لرعايتها.

٣ـ إدراك منة الله تعالى على هذه الأمة بوجود هؤلاء العلماء الأجلاء، الذين بهم يحفظ الله الدين، ويحمي الأمة من الهلكة والانحراف، وتهتدي بهم الأمة، يدعون من ضل إلى الهدى، ويبصرونهم من العمى، يؤتي هنا بحديث: (**إن الله لا ينزع العلم.....**).

٤ـ تأكيد فضل العلم ومعرفة أثره على العالم وكيف أنه سبب للرفعة والمكانة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المجادلة: ١١)،.

٥ـ كما أنه رد واقعي على من تشرف أفكارًا أو مبادئ منحرفة، وصار ديدنه الوقيعة فيهم والقدح في أعراضهم، ليعلم عظم ذنبه، وفداحة جرمه حينما يستهدفهم ويقع فيهم.

٦ـ ثم هو رصد لجوانب التأسي والاقتداء، سواء في منهجية الاستنباط وقوته أو في بذل الجهد، واستفراغ الوسع المؤدي إلى غزارة العلم، والقدرة على التعليم والتوجيه والدعوة والإفتاء.

٧ـ تأكيد مكانة الاجتهاد، وبنائه على ضوابط وشروط وسمات يصل إليها العالم بتوفيق الله، ثم بما يبذله من جهد بارز، وتفرغ تام، وصدق مع الله، ومعاملة خاصة يكتب الله بها القبول للعالم.

٨ـ التذكير بمكانة العلماء عمومًا، ومعرفة قدر نعمة الله تعالى بوجودهم في أي أمة من الأمم، وإثارة الباعث على التلقي عنهم قبل أن تفقدهم أمتهم ومجتمعاتهم.

٩ـ تحذير من لم يتأهل للفتيا من أن يتصدر أو يفتي بغير علم، لأن هؤلاء الأجلاء أفنوا أعمارهم قبل أن يفتوا، وتشيب رؤوسهم من الخوف من الله لئلا يزلوا فتزل بزلتهم الأمم.

الخاتمة

وفيها أبرز النتائج

الحق أننا أمام سيرة حافلة، وحياة مليئة بالعطاء والبذل، وعالم عامل جهبذ، نفع الله به الأمة لا في هذا الوطن المبارك المملكة العربية السعودية، بل في العالم أجمع، وما أوردته من خلال هذا البحث المختصر هو جهد المقل، مكدود الخاطر، كثير الانشغال، جمعته حبًا لشيخنا ~ ووفاءً بحقه، وإسهامًا في هذه الندوة المباركة التي قامت بها جامعة القصيم ممثلة بكلية الشريعة، وإن **أبرز النتائج التي توصلت إليها ما يلي:**

١ـ أن حياة شيخنا ~ سيرة مليئة بالعبر، ومحطات مضيئة في سجل العلماء الأجلاء، وهي جديرة بالتأمل والدراسة، ولا يمكن الإحاطة بها من خلال هذه الفعاليات والجهود المحصورة والخاصة.

٢ـ أهمية هذه الندوة وموضوعها، وما يؤمل من بحوثها من نتائج في إبراز جهود شيخنا وحياته.

٣ـ كانت لشيخنا ~ منهجية متميزة في التلقي وطلب العلم عمومًا، والفقه خصوصًا، فقد جمع في ذلك بين التعليم النظامي الذي تلقاه في المدارس، وبين التعليم في المساجد والكتاتيب، وكانت له منهجية في تعلمه.

٤ـ كان شيخنا ~ نابغًا في العلم عمومًا، والفقه خصوصًا، وقد نمى فيه ذلك شيخه الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي ~ ، وكان له أبلغ الأثر على شيخنا ~ في طريقة الاستنباط والتدريس والفتوى.

٥ـ كان ~ معتنيًا بالمذهب الحنبلي، وكان يستظهر أبرز كتبه، وكان له طريقته

المتميزة في اختيار الكتب، ومراعاتها لمصلحة الطالب.

٦ـ انتشرت للشيخ ~ الكثير من المؤلفات الفقهية، والتي بلغت شهرتها الآفاق، منها ما كتبه الشيخ بنفسه، ومنها ما شرحه، وفرغت بعده وخرجت في كتاب، ولعل من أبرزها ذلك الشرح الكبير المسمى: بـ «**الشرح الممتع على زاد المستقنع**».

٧ـ اقتطع الشيخ ~ الكثير من وقته للجلوس للتدريس والإفتاء، وكان في بداية المطاف لم يكن طلابه يتجاوزون أصابع اليد، ولكنه ثبت وصبر وجد واجتهد حتى إنه في بعض الأيام يجلس لواحدٍ يراجع ويقرأ، ثم كثروا عليه ~ ، وكان يشرح لهم في فنون شتى.

٨ـ كانت لشيخنا ~ منهجية متميزة في فتاواه، العام منها والخاص، وكان يتحرى في ذلك الخوف من الله، وتحري الصواب، ومحاولة مزج ذلك بالدليل المقنع.

٩ـ كان لفتاويه أثرها البارز على طلابه، وعلى عموم الناس، وكان ينبوعًا يستقى منه، ومعينًا يؤتى إليه، وهو في ذلك يربي من يستفتيه ويرشده ويعلمه.

والحق أن معايشة موضوع البحث أثمرت **بعض التوصيات، وأهمها:**

١ـ العناية بالجوانب الفقهية لدى الشيخ، ففيها من الثراء ما يجعلها مجالاً خصبًا للدراسات والبحوث، لاسيما في مراحل الدراسات العليا.

٢ـ أن تسفر هذه الندوة عن عمل ببلوجرافي دقيق، يستهدف موروث الشيخ ~ ، ويجند له فريق من طلابه لإنجاز هذه المهمة في أسرع وقت.

٣ـ خدمة قناة الشيخ ~ ، وذلك بالتوسع في هذه القناة، واستعمال أمثل الطرق الإعلامية وعوامل الجذب فيها.

٤ـ خدمة موقع الشيخ من قبل طلابه، وذلك بإيجاد روابط بالنسبة للموقع أو صفحات لنشر البحوث التي تعنى بعلم الشيخ ومنهجه، ورصد كل ما يكتب عن الشيخ وإضافته إلى الموقع.

٥ـ وفي الختام أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الجهد، ويجعله خالصًا لوجهه، وأداء لحق شيخنا ~ ، وأن يرحمه ويتقبل منه، ويسكنه فسيح جناته، وأن يبارك لنا فيمن بقي من علمائنا، والحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين

***